

ملامح الثورة والمقاومة في شعر أبو القاسم لاهوتي

على گنجیان خناری (الكاتب المسؤول)*

ثريا رحيمي**

الملخص

يعتبر أبو القاسم لاهوتي شاعراً رائداً في الأدب الفارسي وشعره كرواية تاريخية تروى لقارئها ما جرت لإيران في عصره. فهو شاعر عظيم يعرف مسؤولية الشاعر في المجتمع، وأهمية الشعر وتأثيره في قلوب الناس جاهداً إلى استنهاضهم أمام الاستبداد، ويصّب أفكاره التحررية والإصلاحية في قوالب شعرية عذبة، ويدعو الناس إلى المقاومة أمام الظلم والفساد. تهدف هذه الدراسة من خلال إيراد نماذج من أشعار لاهوتي، إلى التعريف بشاعر كبير له في تاريخ الأدب الحديث في إيران صفحات حريّة بالبحث والدراسة. تناول هذا المقال مضامين الثورة والمقاومة في شعر لاهوتي وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي، وقد توصل إلى أن أبرز هذه المفاهيم في شعره هو: الحرية، الذود عن الوطن، نقد الجهاز الحكومي، ذم الإستعمار، نقد الجهل والغفلة في الشعب واستلهاهم الأعمى، مبيناً أنه شاعر ملتزم يبعث الحماس في مشاهد القتال والنضال في البلد متعاضداً مع المحاربين لتحقيق الحرية والمساواة ومن جانب آخر، أكد على أن نزعات لاهوتي الحزبية وخضوعه للحزب الشيوعي، وكذلك الروح العسكرية المستولية عليه وحضوره في ساحات القتال، هما مجريان قد أديا إلى تحويل شعره إلى شعر رسالي ثوروي للدعوة إلى الثورة.

الكلمات الدلّيلية: التفاوت الطبقي، المقاومة، الثورة، الحزب الشيوعي، إيران، لاهوتي.

*. أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي، طهران، إيران

Pajuhesh1392@yahoo.com

** . طالبة مرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران

تاريخ القبول: ١٣٩٥/١/١٧ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٥/٢/١٨ش

المقدمة

إن أدب المقاومة هو أدب الوعي والتضحية للذود عن الهوية والوطن ويسعى لإثارة أحاسيس الناس واستنهاضهم ودعوتهم إلى دفع الذل والخنوع والاستسلام لظلم الظالمين وللضعف والفقير والجهل، ويحاول تفجير الطاقات الإيجابية لمواجهة الظلم والعدوان، وهو الوقوف في وجه الظلم سواء كان مصدره داخليا أم خارجيا.

وأما أصحاب فكرة الأدب الرسالي، فيقولون إن حياتنا اليوم مليئة بالأحداث والوقائع في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فأصبح من واجب الأدب أن يتناول هذه الحياة وهذه الأحداث فيها.

ويصح أن يقال إن الأمة التي تكثر لديها الثورات والأزمات هي أمة مصابة بحالة مرضية تحتاج إلى أطباء يشخصون أمراضها ويعالجون أدواءها. والأطباء هنا هم طائفة الكتاب والشعراء الذين يشاركون وجدانياً في حوادث الأمة وأزماتها ومتابعيها، فهم قادرون، بما فطروا عليه من أحاسيس ومشاعر أكثر من غيرهم، على أن يشخصوا للأمة بلاءها ومرضاها، وهم قادرون على أن يعالجوا هذا الداء، ويرسموا طريق النجاة والخلص.

تأثر الشعراء في إيران أيام لاهوتي، أو قل تأثر كثير منهم، بأحداث وطنهم السياسية وتياراتها الضخمة التي ألحت على الناس جميعاً. ولقد تأثر لاهوتي أيضاً بأحوال إيران هذه ولا سيما السياسية منها تأثراً كبيراً، فانغمس في كثير مما كان يجري فيه انغماساً نرى أبعاده بوضوح في شعره فلم يترك لاهوتي هذه الأحداث تمرّ دون أن يكون له رأى فيها، أو اجتهاد، أو تفسير وعندما يتقدم الباحث إلى دراسة شعر لاهوتي ليتبين صورة العصر فيه أو ليجمع الملامح النفسية للشاعر يجد أن شعره مرآة صافية صادقة تعكس روح العصر بوضوح، وتصور الشاعر في مختلف أطوار حياته تصويراً دقيقاً أميناً.

أما الدراسة هذه فقد جاءت في بضعة فروع بدأت بإيراد نبذة عن حياة الشاعر، إذ من المهم قبل الدخول في ذكر مضامين الثورة والمقاومة التي أنشدها لاهوتي، استعراض حياة الشاعر، حيث اتصل الكثير من أفكاره وبعض جوانب آرائه بحياته وما لا يستها من الظروف، فدراسة شعره لا يمكن أن تستقيم ما لم نلم بظروف أحاطت بحياته وهي

أمور تلقى أضواء كاشفة على شعره. ثم تناول البحث بالتحليل مضامين الثورة والمقاومة في شعر لاهوتي مع إيراد نماذج من شعره في هذا المجال.

تهدف هذه الدراسة من خلال إيراد نماذج من أشعار "أبو القاسم لاهوتي" ودراسة مضمون الثورة والمقاومة في شعره، إلى التعريف بشاعر كبير له في تاريخ الأدب الحديث في إيران صفحات حرية بالبحث والدراسة، ومع الأسف كأنه كان قسماً منسياً في أدب عصره بسبب الظروف السياسية التي كانت قد ألفت بظلالها على حياته، وكذلك نشاطاته السياسية المناوئة للحكومة التي أدت إلى هذا الإهمال المتعمد لذكوره.

خلفية البحث

فيما يتعلق بسوابق البحث، لا بد من الإشارة إلى بعض الدراسات مثل «مقام زن در شعر ابو القاسم لاهوتي، ايرج ميرزا وعارف قزويني» لـ "سعيد حاتمي وپروانه صفايي" التي نشرتها مجلة "زن وفرهنگ" سنة ٢٠١٢م وقام الباحثان فيها بدراسة مكانة المرأة من منظار شعر لاهوتي، والأخرى: «بازتاب رئاليسم در اشعار لاهوتي» بقلم "مرتضى رزاق پور وسميه نوش آبادي" المنشورة سنة ٢٠١٣م وتناولت بعض الجوانب من آرائه ومضامين أشعاره، فضلاً عن ذلك فقد كتب بحث بعنوان «اولين وآخرين پيغام» بقلم "رحيم مسلمانيان قبادي" سنة ٢٠٠١م والذي يعتبر تعريفاً بأعمال لاهوتي للاطلاع على خصائصه الشعريّة. وهناك دراسة في حياة لاهوتي ومضامينه الشعريّة بقلم "محمود درگاہي" التي تحمل عنوان «پيشاهنگ سپاه سرخ» وقد طبعت سنة ٢٠٠٠م بمجلة "ايران شناخت" وقد أتى الدارس فيها بالمضامين الاجتماعيّة والثوريّة لدى الشاعر منها الوطن، والحرية، ونزعات الشاعر الدينيّة، و... علاوة على هذه الدراسات، فقد كتب "أحمد بشيرى" مقدمة لديوان لاهوتي اشتملت على حياة الشاعر ونماذج من أشعاره.

وأما الدراسات المركّزة على شعر الثورة الدستورية والتي استهدفت صور المقاومة في شعر الشعراء فهي كثيرة جداً، منها:

كتاب «تاريخ تحليلي شعر نو» لـ "شمس لنگرودي ١٩٩٨، و«از نيما تا روزگار ما»

بقلم "يحيى آرین پور" ١٩٩٣، و«از بهار تا شهریار» لـ"حسنعلی محمدی" ١٩٩٣...
لكن هذه الكتب قد تحدثت عن حياة لاهوتى بصورة وجيزة وأوردت شذرات من
أشعاره فى مختلف أغراضه الشعرية دون أن تشير إلى عناصر المقاومة التى اعتمدها
الشاعر فى هذه القصائد.

أسئلة البحث

حاول هذا البحث بعد التعرف على حياة "أبوالقاسم لاهوتى" وظروف بلاده آنذاك
وتحليل مضامين الثورة والمقاومة فى شعره، الإجابة عن الأسئلة التالية:
أ. كيف عبّر الشاعر عن ظروف بلاده فى أشعاره؟
ب. ما هى ميزات الثورة والمقاومة عند لاهوتى؟
ت. ما هى الموضوعات التى عالجه لاهوتى فى أدبه الملتزم؟

لمحة عن حياة لاهوتى

ولد أبوالقاسم لاهوتى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وقد عاصر إحدى
الأحقاب الخطيرة من تاريخ إيران وهى حقبة حكومة القاجاريين والبهلويين. كان
والده أحمد إلهامى حذاء بسيطاً متديناً، لكنه كان من أحرار الحركة الدستورية ومن
أصحاب الشعر والأدب. (مشيرى، ١٣٥٧ش: ٧) نما لاهوتى فى ظل تعاليم أبيه وتعلّم منه
حرية الفكر، وفى مثل هذا الجو، ومع تعرفه على الأدب، لمس المحنة والمجوع بلحمه ودمه.
فى الثامن عشر من عمره، تعرّف بالوطنيين ودعاة النظام الدستورى وانخرط فى
الحركة الدستورية فى صف فدائى الحرية وتعاون معهم وأيدهم بأشعاره ووضع قريحته
المحراقه كسلاح فتّك فى أيدي الثوار، وما لبث أن علم لاهوتى أنّ سلاح القلم ليس
بكاف، فحمل بندقية وتحرك مع الثوار. (آرين پور، ١٣٧٤ش: ٤٩٢)

ذهب لاهوتى إلى مدينة قم بعد التجارب التى اكتسبها من معارك القتال، والتحق
بالدرك الذى كان يدار من قبل السويديين، وطرد منه بعد مدة وحكم عليه بالإعدام
إثر سوء التفاهم، بتهمة الإقدام على التخريب، ولكنه فرّ إلى الأراضى العثمانية وهناك
واجه صعوبات ومشكلات مدة من الزمن. (علوى، ١٣٨٦ش: ١٧٥) وما مضت مدة

من تواجد لاهوتي في تركيا حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، وبعد أن اشتعلت نيرانها، استغل لاهوتي اضطراب أوضاع إيران وعدم استقرارها وعاد إلى كرمانشاه، وفي السنتين الأوليين من بدء الحرب العالمية، أصدر صحيفة "بيستون" في مسقط رأسه كرمانشاه، وعاتب القوات الأجنبية وهاجها في هذه الصحيفة. (لاهوتي، ١٣٥٨ش: ٨١) وبعد سيطرة بريطانيا على إيران، لم يتمكن لاهوتي من أن يستمر في نشاطاته السياسية ولم يربداً من الهروب، وهرب مرة ثانية إلى تركيا ونشر هناك مجلة بارس الأدبية بمساعدة حملة الأقلام وشعراء إيران وتركيا مثل حسن مقدم، خان ملك ساساني، رضا توفيق بك، وأديب الممالك فراهاني، وقد خيّم النزعة الوطنية على هذه المجلة، وكان لاهوتي رئيس تحرير القسم الفارسي فيها وحسن مقدم رئيس تحرير القسم الفرنسي. (آرين پور، ١٣٧٤ش: ٤٩٢)

لم يدم بقاء لاهوتي في تركيا طويلاً إذ بذل جهده للعودة إلى وطنه فعاد إلى إيران مرة أخرى. فبدأ العمل في الدرك مرة ثانية برتبة رائد. وفي سنة ١٩٢١م قامت جماعة في آذربيجان تحت قيادة لاهوتي بانقلاب عسكري في تبريز، وسيطر لاهوتي بمساعدتهم على هذه المدينة، ولكن بعد عشرة أيام هاجمت القوات الحكومية تبريز وحرروها من أيدي هؤلاء. حيث فشلت تلك الحركة واضطر الثائرون إلى الهروب، ففر لاهوتي مع بعض ضباط الجيش إلى الاتحاد السوفياتي في ليلة مظلمة من ليالي الشتاء. (حقيقت، ١٣٨١ش: ٦١٥ - ٦١٧)

إن لاهوتي قضى القسم الثاني من حياته في الاتحاد السوفياتي وفي طاجيكستان عموماً، كان لاهوتي في بداية إقامته بطاجيكستان معلم مدرسة ابتدائية، وأما بعد دخوله في الحزب الشيوعي فترقى في سلم التقدم واحداً بعد آخر وأصبح رئيساً لأكاديمية علوم طاجيكستان ووزيراً للمعارف. (محمدى، حسنعلی، ١٣٧٢ش: ٢٤٨)

لم يتفرغ لاهوتي للشاعرية كعمل، فقد كان يقضى معظم وقته في المشاغل السياسية والعسكرية، ومع ذلك ترك أثراً إيجابياً في ثقافة الشعب الطاجيكي وفكره، وبقي اسمه موضع الاحترام بعد وفاته.

ملاحم من الثورة والمقاومة عند لاهوتي

يعتبر لاهوتي شاعرا يعرف منزلة الشاعر ومسؤوليته في المجتمع، وأهمية الشعر وتأثيره في قلوب الناس واستنهاضهم أمام الاستبداد، وصبّ أفكاره التحريرية والإصلاحية في قوالب شعرية، ودعا الناس إلى المقاومة أمام الظلم والفساد. ولجأ إلى أساليب متنوعة مثل التحريض والتهديد والتحقير والتنويه، في استنهاضه ودعوته إياهم إلى الثورة. ارتبط الشاعر منذ بداية حياته بواقع الشعب وآلامه، حيث كانت القضايا السياسية في سلم أولوياته، فهو كان يكتب للجماهير وللثورة والحركات التغيير الصادقة التي كانت تنخرط فيها جموع الفقراء والمضطهدين، وقد استوعب أبعاد المشاكل السياسية في إيران من خلال تجربته الخاصة ومعاناته من قمع الحريات، ولذلك فقد راح شعره ينبض بالقضية السياسية وأخذ يدافع عن الحريات ويسخر من النواقص ويبرز مدى التمزق الذي وصلت إليه الأمة.

إن ديوان الشعر الذي تركه لاهوتي، يشتمل على أشعار ذات نقاط ومعان يمكن أن تصبح تقارير لكثير من المسائل والأحداث في تلك الفترة من تاريخ إيران وبعض البلاد المجاورة، وشعر لاهوتي رواية تاريخية موثوقة سجلت الأحداث والوقائع في زمن الشاعر. حيث ينشد:

در آتش مبارزه زندگی من به پایان خواهد رسید دوران زندگی من، زمان شمشير
وآتش و خون بود

(لاهوتي، ١٩٧٩ش: ٢١٣)

- سنتهي حياتي في نار النضال والقتال. كان زمن حياتي، زمن السيف والنار والدم. الصورة التي أوردناها بصورة وجيزة عن حياة الشاعر والظروف التي أحاطت بها، كلها مؤثرات قد أثرت في شخصية الشاعر وفي حياته الشعرية ونظرة منا على مضامين أشعاره تؤكد لنا تأثير الأحداث المختلفة في زمن الشاعر وخصائصه الشخصية عليها.

أ- حب الوطن والذود عنه

كان لاهوتي يعيش على ذكرى وطنه الذي غادره، وهو يتابع أخباره ويصفى لأهله

حبه ومودته، ويقف على ما يصيبهم من المحن والظلم، فيذهب قلبه عليهم حسرات وتترامى إليه أخبار المآسى التي يتخبط بها وطنه فتتلظى في فؤاده النار. هو وطني حقاً، ما نسى وطنه لحظة رغم بعده عن وطنه إيران لسنوات طوال، ورغم كونه شيعياً متعصباً، وكان يعتر به ويتباهى بشعبه، إلا أنه كان يعنى لإيران كالمغرم الذي بعد عنه حبه وغرامه. وكثير من أشعاره الوطنية، يعكس مشاعر حبه لإيران:

تنیده یاد تو در تار و پودم میهن ای میهن بودلبریز از عشقت وجودم میهن ای میهن
تو بودم کردی از نابودی و با مهر پروردی فدای نام تو بود و نبودم میهن ای میهن
(المصدر نفسه: ٤٤)

- امتزجت ذکراک بسدای ولحمتی أیها الوطن، أیها الوطن وامتلاّت حیاتی بحبک أیها الوطن.

- أنت أعطيتني الحياة وربيتني بالحنان أفديك بكل ما لدى أیها الوطن.

لا يرى لاهوتي وطنه المحبوب كما يريد، فوطنه مضطرب وقلق. فهو يصرخ ويتساءل:
وطن ویرانه از یار است یا اغیار یا هر دو؟ مصیبت از مسلمانهاست یا کفار یا هر دو؟
هر کسی داد وطن خواهی زند اما نمی دانم وطن خواهی به گفتار است یا کردار یا هر دو
(المصدر نفسه: ١٢٥)

- أ دمار الوطن من الصديق، أم من الغير، أم من كليهما، المصيبة من المسلمين، أم من الكفار، أم من كليهما؟

- كل شخص يدعى الوطنية ولكن لا أدري هل الوطنية بالقول، أم بالعمل، أم بكليهما؟

ويحسب الشاعر، التشرّد والمتاعب التي يتحملها، لأجل الوطن، ذلك الوطن الذي يكرم فيه الخونة ويتم فيه إذلال المخلصين:

ویران تر از ایران بود امروز دل من ای وای به این خانه ویران چه توان کرد؟
دانم که خیانت به وطن راه ترقی ست اما به جلوگیری وجدان چه توان کرد؟
(المصدر نفسه: ٧٧)

- قلبی اليوم أكثر دماراً من إيران فوا أسفا على هذه الدار المدمرة، ماذا عسانا أن

نعمل.

- أعلم أن الخيانة للوطن سبيل الرقى ولكن ما عسانا أن نعمل مع الضمير حينما يردعنا.

فقلب لاهوتي جريح دائماً من دمار وطنه وعدم استقرار الأوضاع فيه، ويذرف من العين دماً ويتمنى الرقى والحرية والرفعة والشموخ لوطنه إيران ويستبد به القلق حينما يرى، أن نشيد الحرية ينشد في أكثر البلاد ولكن وطنه لم يزل في برائن الاستبداد والظلم ويحكم الأمراء الخونة فيه الشعب النائم والغافل:

چو بینم صورت خوبان هفتاد و دو ملت را بیاد آرم که یار من نشد آزاد و می نالم
ز فقر زارع و دل سختی مالک بود روشن که ایران می شود و ایران ز استبداد و می نالم

(المصدر نفسه: ٦٦)

- عندما أرى وجوه الطيبين من الاثنتين وسبعين فرقة أتذكر أن حبيبي ما يزال سجيناً فلذلك أنبني.

- لقد تجلّى من فقر الفلاح وقسوة الملاك أن إيران ستتدمر من الاستبداد فلذلك أنبني.
سيكون شرف هذه الأرض ونبلها، رهن استقلال الوطن وشرفه، وسيخلق الوطن الحر اليكرامة لشعبه، ولا قيمة للروح والحياة في سبيل حرية هذا الوطن:

به وطن ما شديد جان و تن وطن از ما بزرگ و ما ز وطن
همه آن را عزیز می داریم جان گرش لازم است بسپاریم

(المصدر نفسه: ٤٣٠)

- حياتنا من الوطن ومنا حياة الوطن يسمو الوطن بنا ونسمو بالوطن.

- نحن نكرّمه جميعاً، وينبغي أن نضحى بحياتنا إذا لزم الأمر.

ويمكن القول إن من أهم مصاديق محبة الوطن التي يجب أن يعرضها عشاق ومحبو الوطن عملياً في رؤية الشاعر هي بذل الغالي والنفيس في سبيل الوطن، ونراه في شعر "دست مردم" [= يد الشعب] يصف قلبه الذي لا يهدأ للتضحية في سبيل الوطن الأم:

یادی از این بنده کن ای میهن ای مادر که دل بهر جان بازی به راحت بی قراری می کند

(المصدر نفسه: ١٢٤)

- اذكرني يا وطن، يا أم، لأن القلب لا يهدأ عن الفداء في سبيلك.
ويقول في حديث يخاطب به أقرانه، إن الحياة دون الحقوق الفردية واستقلال الوطن
عار، ولا قيمة للروح في سبيل الوطن. وهنا فعلى محبي الوطن أن يدعوا الصمت
والخوف جانباً ويستهنوا بالأخطار:

گرنداری تو حقوق ووطن استقلال

زندگی ننگین است

در چنین حال بود ترس و سکوت اضمحلال

خطر جان این است

جان چه لازم اگر ایران تو گردد پامال (المصدر نفسه: ٤٤١)

- إن لم تكن لك حقوق ولم يكن لوطنك استقلال

- فالحياة عار

- وفي مثل هذه الأجواء يسبب الخوف والصمت اضمحلالاً

- وهذا هو الخطر أيها العزيز

- ما جدوى الحياة إذا ما سحقت إيرانك

ب- نقد الحكام الجائرين

للظلم خلفية ترجع إلى بداية الخليقة ، وكما قال أمير المؤمنين على(ع): «يأكل
عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها.» (نهج البلاغة، ١٣٧٩ش: ٦٧٢) «المستبد يتحكم
في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه
الغاصب المتعدى فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق
بالحق والتداعى لمطالبته.» (الكواكبي، ٢٠٠٦م: ٤١)

كان الحكام الظالمون يمتصون دماء شعوبهم على مر العصور، وقد صرح به التاريخ.
ولم تكن إيران استثناء أو بدعا بين البلدان، وهي أيضاً كانت مصابة بهذا الداء العضال،
داء ظلم الحكام واضطهاد الأمراء للناس، فلهذا حينما تراجع قصائد لاهوتي، نشعر
فيها بروح ناقمة على أوضاع زمنه، شديدة الحملة على ترف الحكام وسوء تصرفهم

إزاء طبقات شعبيهم المحرومة، التي تعيش عيشة الشقاء والانحطاط. ويصور الشاعر الظروف الاستبدادية السائدة على المجتمع آنذاك، مدافعا عن حرية الشعب واستقلاله أمام حكام طغاة فيجري الشعر على لسان الشاعر، وهو يشعر في أعماقه ببؤس وطنه وما يزرع تحت أثقاله من استبداد الملك وعملائه، ولم يلبث أن ثار في شعره على هذا الاستبداد وما ينطوى عليه من أغلال وقيود.

لقد عالج لاهوتي اضطراب إيران آنذاك، معتقدا أن حكام إيران جعلوها عرضة للاحتلال تحت أقدام الأجانب بسياساتهم الفاسدة. ويعمل الشاعر على إبراز مسؤوليات الحكام، ويفضح أساليبهم في تكريس العرش وتثبيتته دون مبالاة بأبسط حقوق الشعب. فالحكام هم سبب البلاء والتخلف الذي يضرب بأطنابه على الجوانب الحياتية المختلفة. فتلاحظ قسوة لاهوتي وإقذاعه في هجاء الحكام وسيطرة هذا الهاجس الملح على تفكيره ووجدانه، حيث لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من الطعن في الحكام وكشف مفاسدهم وعمالتهم، فيرفع صوته قائلاً:

تا چند دهاتيان به رشوت	بخشند به خواجه دختران را؟
تاكي امرا ز خون مظلوم	لبريز كنند ساگران را؟
تا چند شهان زيول دهقان	در بر بكشند دلبران را؟
تاكي وزرا كنند پا مال	با رشوه حقوق ديگران را؟

(لاهوتي، ١٣٥٨ش: ٥٧)

- حتام يقدم القرويون بناتهم رشوة للسيد؟
- حتام يملؤ الأمراء أقذاح الشراب من دم المظلوم؟
- حتام يعانق الملوك العشيقات من أموال الفلاح؟
- حتام يسحق الوزراء بالرشوة حقوق الآخرين؟

ويصرح لاهوتي بأن الملك ذئب والأمير لص:

فكر ايران باش لاهوتي، كه من در آن ديار گرگ را چوپان ورهزن را كلانترديده ام

(المصدر نفسه: ٩١٥)

- فكر لاهوتي بإيران، لأنني رأيت في تلك الديار الذئب راعياً وقاطع الطرق رئيساً

للشرطة.

ويصوّر عمال الملك، ذئاباً في وجه كلاب:

به جلدسگ هزاران گرگ دارد شاه در گله خیانت کردن این گونه چوپان را چه میدانی
(المصدر نفسه: ٨٧)

- للملك آلاف ذئاب في صورة كلاب، كيف لك أن تعلم خيانة راع كهذا.
ويقول إن حارس إيران - ويقصد به الملك - لص، ثم يشبهه الوطن بزليخا ويشبهه
عشاق الوطن ومحبيه والمجاهدين في سبيله بيوسف (ع)، ويقول من يعشق الوطن ويحفظ
شرفه فمصيره السجن:

بر کشور دل غمزهات امروز امیر است دزداست در این خانه نگهبان چه توان کرد؟
ناموس زلیخای وطن هر که نگه داشت یوسف صفت افتاد به زندان چه توان کرد
(المصدر نفسه: ٧٧)

- دلالتك يحكم دولة القلب اليوم الحارس في هذا البيت لص، ماذا عسى أن نعمل؟
- من احترام شرف زليخا الوطن ألقى في السجن كيوسف (ع)، ماذا عسى أن نعمل؟
ويندد لاهوتي بالامتيازات التي أعطاهها الملك للأجانب ووهبهم أرض إيران
وثرواتها ومعادنها بثمان بخص:

لرد از شاه وطن را به دو میلیون می خواست بیش خود گفت گران است، خراندار بدهد
(المصدر نفسه: ٥٧٨)

- كان اللورد يريد الوطن من الملك بمليونين همهم، قائلاً: إنه غال فهل يعطونه
المبلغ.

ويخاطب الشاعر الملك قائلاً:

ای آن که شرق را به اروپا فروختی ای بی شرف بگو چه خریدی به جای شرق
(المصدر نفسه: ٨٨٢)

- يا من بعث الشرق لأوروبا يا عديم الشرف، قل ماذا اشتريت بدلاً من الشرق؟
ويشير الشاعر بصراحة إلى هو الملك في أوروبا وطلبه الرشوة من الأجانب وترفه
بأموال الشعب:

هي پول به زنهاى اروپا بده اى شاه ورنيست حوالت به رئيس الوزراء
كافى نشد ار رشوه كابينه لندن ماليه ايران كه نموده ست صفا كن
(المصدر نفسه: ٩٢٣)

- أيها الملك، هب النقود لنساء أوروبا دائماً وإن نفذت فاطلبها من رئيس الوزراء.
- فإن لم تكف الرشوة لحكومة لندن إن وزارة المالية لم تمت، فتنزه.

ت- صورة المحتل

إذا كان الإنسان بطبيعته نزوعاً إلى التحرر نفوراً من الاستعباد، فإن رجل الفكر والفن لا غنى له عن نسيمات الحرية، لأنها جزء أصيل من شخصيته المتميزة وما ينبثق عنه من آثار رفيعة وأفكار نيرة. ولهذا كان الأدباء والمفكرون رواد حرية النفس الإنسانية وكرامتها ورواد مناضلة الاستعباد والاستعمار، لقوا في سبيل رسالتهم كل عنت وأذى وكثيرون هم شهداؤها الذين سيقوا إلى مذبحها وصلبوا على خشبتها. وكان لاهوتى من جملة هؤلاء الشعراء، لقى أذى التشريد وألم الغربة والفراق والبعد عن بنى وطنه.

كانت إيران في الزمن الذى عاشه لاهوتى، مسرحاً لكثير من الأحداث التى لم تقتصر أصداؤها على إيران وحدها، بل ترددت في آفاق أخرى من العالم في ذلك الوقت، لأن إيران كانت مسرحاً تتصارع فوقه القوى الأجنبية التى تعارضت مصالحها في إيران، فكانت إيران في نظر الدول الغربية المستعمرة من أهم الميادين من النواحي السياسية والاقتصادية والحربية والإستراتيجية، فكان الصراع محتتماً على أشده بين بريطانيا وروسيا، ونظراً لضعف الحكم القاجارى وعجزه عن الوقوف في وجه الأجنبي، فقد اختلت الأوضاع في إيران بصورة جعلت الوطنيين يفرعون ويطالبون بالحرية والتخلص من نفوذ الاستعمار. لذلك نجد أن المسائل الوطنية والسياسية ومناضلة الاستعمار قد غلبت على نتاج كثير من الشعراء والكتّاب في هذا العصر، بل لا نجد شاعراً، أو كاتباً ليس للمسائل الوطنية نصيب من نتاجه الفنى.

فحب الوطن والخوف من استيلاء الأجنبي عليه من أهم المضامين التى عبر عنها

لاهوتي أحسن التعابير في أدق الصور، وذلك لأن الشاعر شاهد احتلال قسم عظيم من الوطن بأيدي الأجنبي، فشعر بمهمته في نشر الوعي الشعبي وحذر الشعب من استيلاء الأجنبي على الوطن. وها هو ذا لاهوتي يشبه الوطن بالأم فلا بدّ من المحافظة عليها كما تلزم المحافظة على الأم، ويكره لنا أن نقدّم الوطن للعدو كما يقبح بنا أن نودع الأم لدى العدو، فيقول:

ای مادر وطن پسرانت نمرده اند آسوده باش گول اجانب نخورده اند
البته حق مادريت را ادا كنيم يعنى كه جان و مال به راهت فدا كنيم
در سايه تو كاخ عدالت بنا كنيم دست تو را زبند اجانب رها كنيم

(المصدر نفسه: ٤٥١)

- يا أمّنا الوطن، لم يمت أبناؤك، كوني هادئة، فإنهم لن ينخدعوا بالأجنبي.
- نؤدى حق أمومتك بالتأكيد، أى نضحى بالروح والمال فى سبيلك.
- نبني قصر العدل فى ظلك ونحرر يدك من قيد الأجنبي.

فلاهو تى يعرب عن قلقه وخوفه من احتلال الوطن ويعتقد أن الوطن هوية الإنسان وعرضه وحماه، فلا بدّ أن يذود عنه كما يذود عن عرضه وشرفه، ويؤكد على أنه يجب أن يخرج العدو من الوطن، أو تخرج الروح من الجسم:

زندگانی نیست دشمن را به ملک خویش دیدن باید از تن جان من یا از وطن دشمن بر آید
(المصدر نفسه: ١٧٥)

- ليست الحياة أن نرى العدو فى ملكنا، ينبغى أن تخرج روحى من البدن، أو يخرج العدو من الوطن.

قبيل الحرب العالمية الأولى، أصبحت إيران ضحية الصراعات الشديدة بين الثوار والدستوريين من جانب والحكام المستبدين من جانب آخر، وكانت جهود الاستعمار التوسعية فى إيران قد بلغت ذروتها. فلهذا اتخذت نعمة الوطنية ونشيد الحرية والمضامين الداعية لمناهضة الاستعمار والاستبداد، نظاماً خاصاً فى أشعار لاهوتى. فهو يخاطب الشعب قائلاً:

وطن خواهان وطن ويرانه گرديد وطن منزلگه بيگانه گرديد

به خاک ما تجاوزهای اغیار بر اهل جهان افسانه گردید

(المصدر نفسه: ٤٥٠)

- أيها الوطنيون لقد دمر الوطن، أصبح الوطن مسكن الأجنبي.
- أصبحت اعتداءات الاغيار على أرضنا أسطورة لدى أهل العالم.
ويشجع الشاعر بني وطنه على الوقوف أمام الاستبداد والكبت وأمام اعتداءات الأجنب دفاعاً عن الحرية:

بس است این حال مسکینانه برخیز به دفع قوه بیگانه برخیز

بزن آن را بران از خانه بر خیز سبک برخیز از این خواب سنگین

(المصدر نفسه: ٤٦٤)

- تكفي حالة المسكنة هذه، انهض وقم لدفع القوى الأجنبية.
- اضربه واطرده من البيت، انهض انهض بخفة من هذا النوم العميق.
وفي مكان آخر يتنبه أبناء وطنه إلى خطر الخونة الداخليين في جرّ إيران إلى الفساد والفناء، ويسمى هؤلاء الخونة، بائعي الأم والأخت وشرف الوطن، ثم يصرخ ويعبر عن استعداد المجاهدين لأن يقدوا أنفسهم في سبيل الوطن الذي هو أعلى من الجسد والروح والحياة:

دشمن از برون، خائن از درون زین ددان کنون، میهن پاک ما غرق آذراست

هر شریر پست، از وطن گسست، باعدونشست او فروشنده مام وخواهر است

لازم ار شود، تن رهاکنیم، جان فداکنیم میهن از جان وتن پربهاتر است

(المصدر نفسه: ٥٥٠)

- العدو من الخارج والخائن من الداخل

- يغوص وطننا الطاهر في النار من هؤلاء السباع

- فكل شرير لثيم انقطع من الوطن وجلس مع العدو

- فهو بائع الأم والأخت

- فإن وجب نترك الجسد ونضحى بالنفس

- فإن الوطن أعلى من النفس والجسد

ومرة أخرى، في مقابل العدو الأجنبي الذي تسبب في القضاء على استقلال إيران وجعله يتعلق بشعرة، يذكر بدور الخونة الذين حطموا إيران وهددوا استقلالها وسيادتها وساعدوا في عدم استقرار حالة إيران مواكبين الأجانب في ذلك:

دشمن استقلال ایران را به موی بسته و آن را دست این ایرانیان خائن از هر سو تراشد
(المصدر نفسه: ٥٤٨)

- جعل العدو استقلال إيران متعلقاً بشعرة وبدأوا يقطعونها بيد هؤلاء الإيرانيين الخونة من كل جانب.

ويريد لاهوتي سفك دماء الخونة ويذعن في شعره "جواب سرخ" [= الرد الأحمر] إلى أن الاغتسال في دم خونة الوطن واجب في شريعة الثورة حسب نص الكتاب الأحمر:

در خون خائنان وطن واجب است غسل در شرع انقلاب به نص کتاب سرخ
(المصدر نفسه: ٨٣)

- يجب الاغتسال في دم خونة الوطن في شريعة الثورة حسب نص الكتاب الأحمر.

ث- صورة الشعب والتركيز على الظروف الصعبة التي يعيشها

كان لاهوتي أحد الوجوه الثورية التي ساهمت في توعية الشعب، وفي إيقاظه من نوم الغفلة والتخلف وإذ كان يسعى لتحقيق أهدافه من خلال التركيز على الظروف الصعبة التي يعيشها الناس وإبراز الآخر المعتدى الذي يسعى لإضعاف قوتهم بالحث على العمل والأمل.

وقد وظّف لاهوتي الشعر لخدمة الشعب وأراد منه أن يتصدّى لحكم الطغاة المستعمرين ودعا إلى الوعي الوطني، وأراد الشاعر للشعر، مفهوماً، ووظيفة، ومتعة، تخدم الفرد والمجتمع والأمة، وتعينهم على الخروج من محنتهم وتخلّفهم. فهو أنشد شعراً لاذعاً حاداً في طهران سنة ١٩٠٩م، وخاطب فيه شعبه قائلاً: (مسلمانيان قبادى، ١٣٨١ش: ٥٩)

ای رنجبر سیاہ طالع بیچاره پا برهنه زارع

ای رنجبر ستم کشیده جز زهر ز دهر ناچشیده

(لاهوئی، ١٣٥٨ش: ٦٢٦)

- أيها الكادح السيء الحظ أيها الفلاح المسكين الحافي.
- أيها الكادح المظلوم الذي ما ذاق من الدهر إلا السم.
فهو يذكر ظلم الأغنياء مرات ومرات، الأغنياء الذين يتمتعون بكل الإمكانيات دون جهد وتعب ويستغلون العمال والكادحين كآلة للراحة والرخاء:

تا چند برای نفع خود اشراف آواره کنند و در به در ما را

تا کی چو کلاه و کفش بفروشد این بی شرفان به سیم وزر ما را

(المصدر نفسه: ٥٨٣)

- حتام یسرّونا النبلاء ويطاردوننا تأميناً لمصالحهم.
- حتام بییعنا عدیو الشرف هؤلاء بالفضة والذهب كقبعة وحذاء.
وما اكتفى الشاعر بتصوير الظلم والاعتداء فحسب، بل دعا المظلومين الغافلين إلى الوعي والاطلاع:

بیدار شو بس است غفلت تا کی به مرارت و مذلت

(المصدر نفسه: ٦٢٩)

- استیقظ، تکفی الغفلة، حتام تقضى الايام بالآلم والذل.
ولاهوتی یرید لوطنه الحریة، ویرید لشعبه الخلاص، فیحثهم علی الثورة لأن الشعب هو الذى یقرر مصیره وهو الذى یختار طریقہ، ویدعو شعبه لمکافحة الحکام المستبدین ومحو الاضطهاد الذى خیم علی الشعب طوال السنوات، من أرض الوطن، وعرض علی أبناء وطنه أسباب الظلم والعدوان، وخاطبهم قائلاً:

زحمت ز تو نعمت از تو نبود زیرا که حکومت از تو نبود

(المصدر نفسه: ٦٣٠)

- أنت تتحمل المشقة، والنعمة ليست لك لأن الحكومة ليست منك.
فهو يتحدث عن حرية الشعوب المسلوبة وما ينبغي أن تتسلح به في مقاومتها لمن سلبوها تلك الحرية من أسلحة خلقية، أو مادية، بل إنه ليدعوها إلى الثورة ضدهم. فاقراً هذه الأبيات وقدر ما في نفس الشاعر من غضب، إنها صرخة في وجه الاستبداد الذى عاث في البلاد فساداً وقتل الناس ونهب أرزاقهم وكمم أفواههم، ولقد صارت

الكلمات هنا حمماً نارياً تسفع الجلود وتلهب النفوس وتحرض الناس على الثورة لقاء حريتهم المهضومة:

بر ضد خود پرستی مردان قیام کن تمکین چرا به بندگی زور می کنی؟
ای رنجبر تو آلت صنف توانگری این ننگ را چه وقت ز خود دور می کنی؟
ظلم اصول شاه پرستی ز حد گذشت پس کی به پا تو را بت جمهور می کنی؟
(المصدر نفسه: ٩٢٩)

- تُر ضد أنانية الرجال لماذا تتقبل العبودية والقسر؟
- أيها الكاذب أنت كوسيلة بأيدي المقتدرين، متى تمحو هذا العار من نفسك؟
- لقد تجاوز ظلم مبادئ عبادة الملوك حدوده، فمتى ترفع أنت راية الجمهورية؟

ج- الدعوة إلى الوعي ونبذ الجهل

كان الشاعر قد ولد في الفترة التي، كان فيها الملوك الظالمون، ورجال البلاط المتكبرون، والعمداء والأغنياء الطامعون، وأولو الأمر العملاء للأجانب، كانوا متحدين ليخدعوا الشعب الأمي وغير الواعي الإيراني وينهبوه وجلى أنه كلما يكون هذا الشعب أكثر أمية وتخلفاً يكون نهبه أسهل وأيسر. فالجهل نتيجة سياسة عرجاء اتخذها الحكام مساراً للشعب، حيث إن الجهل يتحكم بالنفوس والعقول، ويسهل من خلاله السيطرة على الشعوب. وها هو لاهوتي يصرخ ويقول: إذا قطعت أيدي الظلم من أرض إيران فسوف ينمحو الجهل والأمية وتسطع أشعة العلم على الشعب:

روزی که شود ز خاک ایران یک مرتبه دست ظلم کوتاه
دانش فکند به خلق پرتو نادانها را نماید آگاه

(المصدر نفسه: ٤٦٨)

- يوم تقطع يد الظلم من أرض إيران بشكل كامل.
- ينور العلم الشعب، ويجعل الجهلة أوعياء.
- وينتقل لاهوتي إلى التعبير عن الناس وحالاتهم أيام استبداد الحكام الظالمين، هل إنهم يشعرون بهذه الأزمات ويسعون لمعالجتها ويدافعون عن أنفسهم أمام الظالم،

ويطلبون طرد الظلم، أم هم نائمون لا يفكرون في مصيرهم ومصير بلدهم، وأصبحوا صامتين تجاه الاضطرابات السائدة في بلدهم، فالشاعر يتأسف ويتأسى ويتألم على أحوالهم ويصفهم بأنهم في غفلة وأنهم الخامدون والراضون بالذل، وضالون عن سواء السبيل، وضعفت نفوسهم أمام أولئك الحكام الفاسدين:

خيانتهاى شاه وجهل ملت را چو مى بينم يقين دارم رود اين مملكت بر باد ومى نالم
رعيت را فروشد با زمين ملاك ومى بينم كه ملت عاجز است از دفع اين بيداد ومى نالم
(المصدر نفسه: ٦٦)

- حينما أرى خيانات الملك وجهل الشعب يرتفع أنيبي لأشك بضياع هذا البلد ويرتفع أنيبي .

- يبيع الملاكون، الرعية مع الأرض وأرى الشعب عاجزا عن صدّ هذا الظلم ويرتفع أنيبي لذلك.

لعل نزعة التمرد ونقمة الثورة أبرز ظاهرة لدى لاهوتى بالذات الذى ذاق مرارة التشرد وألم الغربة، غير أن هذا كله لم يثنه عن النضال فى سبيل حريته وحرية شعبه، ألم يقل لاهوتى مندداً بسكوت الشعب، منكرأً عليه عبوديته:

ترقى هاى هر ملت ثمر از حسشان باشد تلاشى، غيرتى، حسى، شما هم ملتيد آخر
(المصدر نفسه: ٢٠٣)

- رقى كل شعب نتيجة شعورهم فحاولوا وأبدوا غيرة وشعوراً فأنتم أمة أيضاً.

از غفلت ملت مگو اين قصه دراز است لاهوتى از اين پس سراين رشته رهاكن
(المصدر نفسه: ٣٢٧)

- لا تتحدث عن غفلة الأمة فلها حكايت طويلة فيا لاهوتى اترك هذه المسألة من الآن فصاعداً.

دهر ناكس، چرخ خائن، خلق نادان، دوست دشمن چون بمانم، چون بخواهم، چون

بسازم، چون ببينم

(المصدر نفسه: ٨٨١)

- الدهر وضيع، الفلك خائن، الشعب جاهل، الصديق عدو، كيف أبقى، كيف أريد،
كيف أساوم، كيف أرى؟!

ورغم أن الشاعر يرى فتنة الحكام وأصحاب المناصب تؤثر في نفوذ الأعداء
وسيطرتهم، لكنه لا يترك الشعب ولا يتناسى جهلهم وخمودهم:

وطن رافتنه مسند نشينان داد بر دشمن ويا اين مردم بی دانش بازار یا هر دو

(المصدر نفسه: ١٢٥)

- هل أن فتنة أصحاب المناصب قدّمت الوطن للأعداء، أم هذا الشعب السوقي
الجاهل، أم كلاهما.

ح- الحرية

إن الحرية هي جوهر الإنسان وفقدان الحرية ما هو إلا الموت الحقيقي للإنسان
وهي إحدى المجالات التي أنشد لاهوتي فيها. وهذه الحرية في شعره مفهوم خاص في
كثير من الأحيان، المفهوم الذي سمّاها ما شاء الله آجوداني «الحرية من النوع الطبقي». (آجوداني، ١٣٨٥ش: ٢٠)

هذا النوع من الحرية، معناه تخلص الكادحين والبائسين من سيطرة استغلال
الرأسماليين والطبقة الارستقراطية ومن الطريف أن الوصول إلى هذا النوع من الحرية
في شعر لاهوتي قد تمت المطالبة به بأسوأ أساليب العنف والثورة وسفك الدماء.

يرى لاهوتي الحرية من منظور شيوعي، ويقترح سبيلاً ثورياً للظفر بها. فقد استمدّ
الشاعر جوهر أفكاره وآرائه من منبعين: كان قد استمدّ من الثورة الدستورية والتيار
الفكري الناتج عنها من جهة، ومعجباً بمبادئ الشيوعية وثورة أكتوبر سنة ١٩١٧م
في روسيا من جهة أخرى. فآمن بجرية الإنسان وأشاد بالحرية السياسية خاصة. وفي
حديثه عن الحرية كان يرسم طريق الدم ويرى أنه من الممكن الوصول إلى هذه الحرية،
بثورة العاملين والكادحين.

ومع هذا كله، تأتي الحرية في بعض أشعاره بمفهوم الاستقلال وحق الشعب في تقرير مصيره و مصير البلد، والحرية من هذا المنظار أحد الحقوق الطبيعية للإنسان، والإنسان يحتاج إلى الحرية هذه لتنمية مواهبه الكامنة وتفتّحها:

زندگی آخر سرآید بندگی در کار نیست بندگی گر شرط باشد زندگی در کار نیست
زندگی آزادی انسان و استقلال اوست بهر آزادی جدل کن بندگی در کار نیست
(لاهوتی، ١٣٥٨: ٥٤)

- وفي نهاية المطاف ستنتهى الحياة ولاعبودية هناك، وإن لزم أن تكون العبودية فلا معنى للحياة.

- الحياة هي حرية الإنسان واستقلاله، كافح لأجل الحرية، فلا معنى للعبودية. قليلاً ما وردت الحرية بهذا المفهوم في شعر لاهوتى، ويجب أن يدرس ويحلل هذا القليل أيضاً في ضوء الحرية والمفهوم الطبقي. السمة البارزة لأشعار لاهوتى في هذا المضمار هي الانطباع الشيعوى عن الحرية، فلننظر إلى الأبيات التالية التي تبين هذه السمة:

ما به ضد صنف استثمار كن داريم جنگ فعله ايم، آزادی زحمت شعار ما بود
منتظر از هيچ كس بهر رهايي نيستيم ناجى ما بازوان بردبار ما بود
ما سندن داريم كه اين دنيا سراسر ملك ماست ما سندن داريم به دست بينه دار ما بود
(المصدر نفسه: ٨٣)

- نحن نحارب الطبقة المستغلة، نحن العمال. هتافنا الحرية في المحنة والتعب.
- لا ننتظر أحداً لبلوغ الحرية فالذى ينقذنا، هو سواعدنا الصبورة.
- لدينا وثيقة بأن هذه الدنيا كلها ملك لنا لدينا وثيقة هي في أيدينا المثقنة.
يرى لاهوتى الحرية من منظار السياسة الحاكمة في روسيا، ويطيل الحديث في تحرير العامل والفلاح من استغلال أصحاب العمل او الملاكين أكثر من الحرية الفردية. وحين يتحدث لاهوتى عن الحرية الكاملة أيضاً يتكلم عن العامل والفلاح، ويظهر لنا أن وجهة نظره تتطابق مع وجهة نظر الحزب الشيوعى في الاتحاد السوفياتى وفي رأيه أن هذه الحرية الثورية، تتحصل عبر كفاح العامل والفلاح، لا عبر كفاح فردى وغير منتظم، بل

كفاح جماعى منتظم:

بی شک بود آزادکن فعله ودهقان دست و بازوی توانا و دگر هیچ
کوتاه کند دست ستم راز سر خلق تشکیل همین فعله بی پا و دگر هیچ

(المصدر نفسه: ٩١٧)

- بلا شک فإن محرر العامل والفلاح هو اليد والعضد القويتان ولا شيء.

- تنظيم هؤلاء العمال البائسين يقطع أیدی الظلم عن رؤوس الخلق ولا شيء.

يعد لاهوتي بلا شك، أول وأكبر المنشدين للكادحين في إيران (انظر: الرحمن، ١٣٧٨ش: ٤٩؛ انوشه، ١٣٧٥ش: ٧٤٦) وقد أنشد للعمال والكادحين أكثر من أي شاعر آخر، وكان من مناصري العمال ومعاضديهم، حتى قبل هروبه إلى الاتحاد السوفياتي، وخلال السنوات التي كان يعيش في إيران. فقد وقف إلى جانب الشعوب المقهورة والمستغلة، يجهتهم على الثورة والتحرر، وهو الذي كان قد اعتنق الإيديولوجية الشيوعية، نراه يدعو إلى ضرورة وقوف وإطلاع العامل والفلاح لأجل بلوغ الحرية ويدعوهم إلى الوحدة. حيث ينشد قائلاً:

جنبش کن خویش را آزاد بنما زین خسارت ورنه حال توست روز از روز بدتر ای دهاتی
متحد با کارگرها باش و بنیاد ستم را محو کن با چکش و داس هنرور ای دهاتی
(لاهوتي، ١٣٥٨ش: ٦٣٣)

- تحرّك وانفذ نفسك من هذه الخسارة وإلا سيكون حالك اليوم أسوأ من الغد أيها الريفي.

- اتحد مع العمال وامح أساس الظلم بالمطرقة والمنجل الفنان، أيها الريفي.

وأما لاهوتي في الاتحاد السوفياتي، فهو متأثر بثورة روسيا، يبحث عن ثورة في إيران على شاكلة ثورة أكتوبر، ولهذا نراه ينشد:

شه مست وشحنه راهزن وشيخ رشوه خواه ديگر كه مدعى است كه ايران خراب نيست
تبليغ كس به خرج توانگر نمى رود ما ديده ايم چاره به جز انقلاب نيست
(المصدر نفسه: ٨٨٥)

- الملك سكران والحارس قاطع طرق والشيخ مرتش والآخر يدعى أن إيران

ليست خربة.

- لا يسمع الغنى دعايات أحد، نحن رأينا أن لا حيلة سوى الثورة.
وكان يدعو شعب إيران إلى أن ينظروا على التعاطف والإجماع في الاتحاد
السوفياتي، وينهضوا متأثرين بهذا الشعب لأجل الحرية والاستقلال ويكافحوا الاستبداد
والاستعمار:

اي معظم خلق ايران سوى اين سامان بين روس وازبك، گرجى وتاجيك راجوشان بين
يكدل وجانشان بر ضد جنگ افروزان بين صلح خواهى را توهم دركار هم پيمان بين
رزم كن با تيرگى آينده را رخشان بين

(المصدر نفسه: ٤٦٨)

- يا شعب إيران العظيم انظر إلى هذا البلد النظام انظر الروس والأوزبك
والمجورجى والطاجيك تائرين.

- انظر فهم متفقون ومتحدون ضد مثيرى الحرب، انظر أنت اللوئام فى العمل وفى
العهد أيضاً.

- كافح الظلام وانظر إلى المستقبل المنير.

كما أشرنا سابقا، لاهوتى فإن لاهوتى بعد ذهابه إلى الاتحاد السوفياتى، أصبح فى
الحقيقة من المروجين والدعاة للمفاهيم الحزبية الشيوعية الروسية، وهو يشيد بثورة
أكتوبر سنة ١٩١٧م، والمنظمات العمالية فى الاتحاد السوفياتى، وإستالين ولنين قائدى
الحزب الشيوعى فى روسيا، ونراه فى أشعاره هذه يصور إنساناً روسياً يثنى على المفاهيم
الحزبية والثقافة الشيوعية ويدعو إليها، وبعد الزعيمين السابقين فى روسيا، منقذين
ومحررين للعمال ويتحدث عن عدلها وإنصافها وإنسانيتها، فينشد فى مدح إستالين:

ستالين جان، تو ما را رهنمايى برادر، هم پدر، هم پيشوايى

به سرهوش و به درد ما دوايى خلاصه جان مايى، بخت مايى

(المصدر نفسه: ١٥١)

- يا إستالين العزيز، أنت مرشدنا وأنت أخونا وأبونا وزعيمنا أيضاً.

- أنت فكرنا ودواء دأنا وملخص القول أنت روحنا وحظنا.

وله في مدح لنين:

ما نيز كه شاگرد وفادار لنينيم هم عائله رنجير روى زمينيم
امروز از اين قاعده غافل ننشينيم خيزيد كه يك دسته گل نغز بچينيم
آن سان كه بود شيوه شاگرد وفادار

(المصدر نفسه: ٢٢٣)

- ونحن الذين نعتبر التلاميذ الأوفياء للنين ونحن أبناء الأسر الكادحة في الكرة الأرضية.

- لن نغفل اليوم هذا المبدأ انهضوا لتقطف باقة ورد رائعة.

- كأسلوب التلميذ الوفي.

عندما يتأمل القارئ الإيراني شعر لاهوتي ويرى كثيراً من أشعاره مدحاً دعائياً لبلد آخر وأجهزته، يتحسر فيها على أن هذه الأقوال ترشحت من طبع مثمر لأحد مواطنيه وهنا يقول "شمس لنكرودي": لقد انتهى لاهوتي بداية في مسيرته العسكرية، ثم في نظام الصحافة الدعائي المسيطر على حكومة الاتحاد السوفياتي في ذلك العهد. (لنكرودي، ١٣٦٩ش: ١٦) وكذلك يتحسر "محمد على سپانلو" على انحراف طبع الشاعر ويقول: فإن تخرج الشجرة من أرضها في موسم التفتح والازدهار، وتغرسها في بلاد نائية وفي مناخ آخر، فلا تنمو الجذور وتذبل الشجرة بعد مدة. (سپانلو، ١٣٧٦ش: ١٦)

قد رأينا دكتاتورية رأس المال تمثلت في دكتاورية البرولتاريا على أوسع نطاق وهذه الدكتاتورية التي تسميها الماركسية أحياناً "ديمقراطية البرولتاريا" باعتبارها تعطي كل الحرية وكل الحقوق للشعب الكادح بينما هي "دكتاتورية" على البرجوازية لا غير. هل حصلت الطبقة العاملة على حقوقها السياسية والاجتماعية كاملة؟ فإذا قامت ثورة في بلد ما، لتقلب نظاماً مستبداً متعفنًا فلا ينبغي أن يكون البديل "دكتاتورية البرولتاريا" وإنما لا نستطيع أن ننكر أو نتجاهل الظروف القاسية ولا المخاوف الهائلة التي صاحبت التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي إبان نشوئها وقيام دولتها...

خ- الدم والاستشهاد

«تحتاج المجتمعات، لكي تحفظ كرامتها وتسودها العدالة، إلى أناس شعارهم

التضحية وقول كلمة الحق مهما كلف ذلك، لأن استمرار الاستبداد داء عضال تنتج عنه أمراض اجتماعية عديدة في كافة ميادين السياسة والتربية والاقتصاد وغيرها.»
(الكواكبي، ٢٠٠٦م: ١٨)

يقترح لاهوتي وهو الذي جرب ميادين القتال وقاتل في ساحات الحرب لأجل الذود عن الوطن، وقد سيطرت الروح العسكرية عليه وهو قد تأثر بالدعايات الشيوعية ونزعات هذا الحزب وثورته التي يدعو إليها، نهجاً ثورياً مصحوباً بتضحية النفس وسفك الدماء في الذود عن وطنه الذي عجز ولا يستطيع النهوض والقيام. ويدعو شعب إيران للحضور في ساحات الكفاح لأنه نفسه رجل المعارك والميادين:

باوطن صادق كسى باشدكه باسعى وعمل عشق خود را در چنين دوران نمايش مى دهد
(لاهوتي، ١٣٥٨ش: ١٧٤)

- الذى يكشف عن حبه بالسعى والعمل في مثل هذه الأيام فهو مخلص في وطنه.
وبزعم لاهوتي أن الدم هو معيار الذود عن الوطن، الدم الذى إذا أريق ضئيلاً لا يؤدي إلى الحرية ونجاة الوطن يجب أن يراق بقدر ينتهي إلى الاستشهاد، وسيضحى بكل غال ونفيس في سبيل الذود عن الوطن:

ميينى به هر ميهن وطن را من دوست دارم
اگر فرمايد به من خون خود را ريخته ام
مى بخشمش جان را هم با هر نعمت كه در اوست

(المصدر نفسه: ٣٨٨)

- ألم تر أننى أحب الوطن

- فى كل بلد

- فإن يأمرنى بإراقة دمي

- فإنى أريقه

- وأهديه روحى

- وكل نعمة فيه

ويجب على المناضلين والمجاهدين في سبيل الوطن، أن يعتقدوا بأن الوطن أولى

وأكرم من الجسم والروح:

اگر پرسند از من چیست از جان و بدن بهتر وطن بهتر، وطن بهتر، وطن بهتر
(المصدر نفسه: ٦٧٤)

- إن يسألوني ما أفضل من الروح والجسم؟ أقول: الوطن أفضل، الوطن أفضل،
الوطن أفضل.

ويخاطب أبناء وطنه قائلاً: عليهم ألاّ يبيعوا عرض الوطن وشرفه خوفاً على النفس،
ويشتروا العرض وحسن السمعة بالتضحية والرجولة:

مفروش آبروی وطن را ز ترس جان نام ابد به قیمت مردی خرید کن
(المصدر نفسه: ٨٨٨)

- لا تبع شرف الوطن خوفاً على النفس واشتر الذکر الخالد بثمن الرجولة والفتوة.
ويحرّض الأمهات ليأمرن أولادهن على القتال ومحاربة الأعداء:

رو پسر جانم زدشمن رونگردان برنگرد گر نگرده قاتل از تیغ توغلتنان برنگرد
توبه میدان رو من اینجا پاسبانی می کنم پیش من بی مژده اعدام دزدان برنگرد
(المصدر نفسه: ١٧٩)

- اذهب ولدی العزیز، لا تعرض عن العدو لا ترجع إلا أن يتمرغ القاتل على
الأرض من سيفک.

- اذهب إلى ساحة الحرب، أنا أحرس هنا لا ترجع إلى دون أن تبشّرني بإعدام
الصوص.

ويرى أنه يجب أن تفي النفس لشهيد استشهاد في سبيل الوطن، ويغسل بالدم
ويكفن بغير الغربة:

جان به قربان شهیدی که پس از کشته شدن غسلش از خون بود و گرد غریبی کفنش
(المصدر نفسه: ٤٢٦)

- الروح فداء لشهيد، يغسل بالدم بعد استشهاد ويكفن بغير الغربة.

د- التداخل مع المستقبل

على الشعوب أن تطلع وتستيقظ وتنهض ضد الظلم وتتحد وتصبح سبيلاً عمراً يهدم

أساس الظلم والعدوان. تنتعش منافذ الأمل هذه في شعر لاهوتي أيضاً، ويأمل الشاعر، رغم أنه كان يرى الشعب عاجزاً وذليلاً، أن يقوم الشعب ويجتذ جذور الاضطهاد. وهو على ثقة كاملة بخلاص الشعوب من الحقارة والظلم، ويرى تحريرها بيدها وأنها ستنال الحرية بقوة إرادتها وكفاحها:

كنون گر عاجزند و بنده و خوار ولی آید به زودی آن دم شاد
که یابد خلق پیروزی به پیکار هم از بیداد اعیان گردد آزاد
در این من اعتمادی سخت دارم هم از چنگ جهانگیران جلاد

(المصدر نفسه: ۵۴۰)

- رغم كونهم الآن عاجزين وعبيداً وأذلة ولكن ستأتي قريباً تلك اللحظة المفرحة.
- التي يصل فيها الشعب إلى النصر بالكفاح ويتحرر من الظلم الأغنياء.
- ومن برائن المستعمرين الجلادين وأنا على ثقة شديدة بهذا الأمر.
ويدعو لاهوتي شعب إيران أن يقوم ضد الحكام المستبدين وضد الخائنين الذين يطرقون باب الأجانب، وهنا ينتعش الوطن الجريح:

میهن افتاده ما باز جان خواهد گرفت در صف پیشین آزادی مکان خواهد گرفت
آن که بر ضد وطن کوبد در بیگانگان ضرب سخت از چکش آهنگران خواهد گرفت
(المصدر نفسه: ۱۲۳)

- وطننا الذليل ينتعش مرة أخرى وسيتصدر مقامه الأول للحرية.
- من يطرق باب الأجانب، ضد الوطن، سيجزى بضربة قاسية بمطرقة الحدادين.
وأما لاهوتي فهو على ثقة بأن الناس يوماً ما سيقومون بما يجب فعله لدحر أنظمة الاستبداد وقمعها والتأسيس لأوطان حرة مستقلة تحفظ لمواطنيها حقهم في الإحساس بالكبرياء والكرامة و ثم يقول إن دمار بناء الظلم والاستبداد، يتحقق على أيدي شعب مستعد صامد:

بنای ظلم و استبداد را زیر و زبر کردن ز دست مردمان پردل و پادار می آید
- إن تحطيم بناء الظلم والاستبداد وهدمه سيتم على يد شعب شجاع وصامد.
ويردف قائلاً وهو يخاطب نفسه ويعلم عاقبة الذين يشتبكون مع الحكومة:

سرت بریادخواهد رفت از این گفتار لاهوتی حذر کن بوی خون زین طبع آتش بارمی آید
(المصدر نفسه: ٩٠٦)

- یا لاهوتی، سيقطع هذا الكلام رأسك. احذر، فإن رائحة الدم تستشم من هذا
الطبع الملتهب ناراً.

ذ- استلهام الأجداد والتذكير بماض مجيد

كان لإيران، البلد الذي استكان في هذا العصر تحت وطأة الظالمين وعدوان
الحاكمين، ماض مجيد. لا ينسى الشاعر هذا الماضي الباهر، وبالتنبيه إلى تلك الأيام
الذهبية يدعو الشعب إلى التعمق والتفكير ليدرك مدى الظلم الذي قد أحاط ببلده وما
به من الاستكانة والذل. فيذكر لاهوتي بمجد الإيرانيين في زمن الساسانيين والأشكانيين.
ويتساءل أبناء وطنه وهو يتألم من هذه الأوضاع التي تحيط بوطنه، ويذكرهم بماضيهم
ويحرضهم على الانتفاضة ضد الظلم ويحذرهم من النوم العميق والغفلة التي طرأت عليه
وما حدث لأجداده وأسلافه:

خيز ای ملت که این تنبلی وغفلت وترس شیوه دوده اشکانی و ساسانی نیست
(المصدر نفسه: ٦٨٧)

- انهض أيها الشعب لأن هذا الكسل والغفلة والخوف لم يكن أسلوب الأستين
الاشكانية والساسانية.

ويخاطب الشعب وهو يحرضه على الذود عن الوطن الذي هو مدفن أجداده الكرام،
أمام خطر الأجنب:

نیاکان شما مدفون در این خاکند، ای مردم وطن را و ارهانیذ از خطر، با غیرتید آخر
سم اسب اجانب بر سر آبا یمان تا کی؟ برانیدش از این کشور، اگر با همتید آخر
(المصدر نفسه: ٤٥١)

- أيها الشعب، أجدادكم مدفونون في هذه الأرض، فخلصوا الوطن من الخطر،
فإنكم ذوو غيرة.

- حتام يكون حافر فرس الأجنب على رؤوس آبائنا؟ اطردهم من هذا البلد،

إن تكونوا ذوى همة.

وفي فترة حكم البهلويين على إيران ازداد الدور الأميركي في السياسة الإيرانية واستطاع الأميركيون أن يأخذوا من ملك إيران الموالى لهم امتياز استغلال النفط في الشمال. فترى لاهوتى في هذه الفترة يصرخ ويحذر بنى وطنه الذين هم من نسل كاوه الحداد عن غلبة الاستعمار الذى ظهر هذه المرة في ثوب أميركا و عن إلغاء تراثهم على يد المستعمرين، وأيقظ أبناء وطنه على تبعية حكامهم ويقول:

أهرمن را بين، هر مين رو به ايران آمله تا كند اين ملك را يكباره ويران آمله
آمده گيرد به دست خويش نان خلق را نرخ نان، آرد به فرمان جسم و جان خلق را
آمده تامفت چنگ خويش، نفت آرد بدست آمده تا بر صف آزادگان آرد شكست
آمده ننگين كند هر نام و هر ناموس را حاكم مردم نمايد دسته اى جاسوس را
آمده تا سنت ما را همه ملغى كند رسم ايران را مطيع رسم امريكا كند
اى نژاد كاوه آهنگر ضحاک بند دل به گفتار چنين دزدان آدم خور ميند
(المصدر نفسه: ٥٤٨)

- أنظر الشيطان أتى إلى إيران بوجه الشيطان أتى كى يدمر هذا الملك بأسره.
- أتى ليستولى على خبز الناس سعر الخبز يتحكم بأجسام الناس وأرواحهم.
- أتى ليحصل على النفط مجاناً أتى ليهزم صفوف الأحرار.
- أتى ليلطخ كل سمعة وشرف ويستولى على الناس فئة من الجواسيس.
- أتى ليلغى كل تراثنا ويخضع العادات الإيرانية للعادات الأميركية.
- يا نسل كاوه الحداد مقيد الضحاک لا تتعلق بكلام هؤلاء اللصوص آكلى لحوم البشر.

فها هو ذا الشاعر "أبوالقاسم لاهوتى" وتلك حياته ونماذج من شعره، ومهما يكن من أمر فإن لاهوتى شاعر كبير له في تاريخ الأدب الحديث في إيران والاتحاد السوفياتى صفحات حرة بالبحث والدراسة والتحقيق.

النتائج

بعد استقراء لشعر "لاهوتى" ونتاجه الشعرى بعامة، يحسن بنا الآن أن نذكر بإجمال

أهم نتائج البحث:

١- تنصدر الثورة والمقاومة، قائمة الموضوعات التي يتناولها لاهوتي، وتتجلى الثورة في أشكالها المتنوعة تارة على المحتل وتارة على الحكام الجائرين وتارة على الشعب النائم والغافل وعلى النفوس المسكونة بالموت في أشعاره وإن المقاومة لديه تتمثل بالثورة المسلحة التي تقلع جذور الظلم والاضطهاد والتفاوت الطبقي والاستبداد، فهو لا يرى سبيلاً لتحقيق الحرية ودمار بناء الظلم والاستبداد وفنائه، سوى الثورة الدامية والكفاح المسلح.

٢- نزعات لاهوتي الحزبية وخضوعه للحزب الشيوعي، وكذلك الروح العسكرية المستولية عليه وحضوره في ساحات القتال، هما مجريان قد أدتا إلى أن يصبح شعره شعراً دعائياً وشعر الثورة والدعوة إلى القتال، وانتماء لاهوتي إلى الحزب الشيوعي دفعه في شعره إلى اتجاه خاص يتجلى في تقده اللاذع للحكام الجائرين الذين يراهم مسؤولين أمام أوضاع مواطنيه المضطربة والظروف السيئة التي سيطرت على إيران آنذاك وأيضاً على المستعمرين والمحتلين الذين جعلوا إيران ضحية أطماعهم وكان صريحاً في تعبيره وقوياً في حماسه.

٣- غايات الثورة والمقاومة في أشعار لاهوتي تنطوي على أهداف وغايات سامية منها: تنمية شعور أبناء الشعب واستنهاضهم ودعوتهم إلى دفع الذل والخنوع والاستسلام للضعف والفقر والجهل، ودعوة الحكام إلى إنفاذ الحكومة الدستورية والابتعاد عن الاستبداد، وكذلك قطع أيدي الأجانب من البلاد.

المصادر والمراجع

- نهج البلاغة. ترجمة عبدالمحمد آيتي. (١٣٧٩ش-٢٠٠٠م). ط٧. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي.
- آجوداني، ما شاء الله. (١٣٨٥ش-٢٠٠٦م). يا مرگ يا تجدد. تهران: اختران.
- آرين پور، يحيى. (١٣٧٤ش-١٩٩٥م). ازنيما تاروزگارما. ط١. تهران: زوار.
- انوشه، حسن. (١٣٧٥ش-١٩٩٦م). دانشنامه ادب فارسي در آسيای مركزي. تهران: دانشنامه.
- حقيقت، عبدالرفيع. (١٣٨١ش-٢٠٠٢م). ط١. شاعران بزرگ ايران از رودكي تا بهار. تهران: كوش.

- الرحمن، منيب. (۱۳۷۸ش-۱۹۹۹م). شعر دوره مشروطه. ترجمة يعقوب آژند. تهران: روزگار.
- سپانلو، محمد علی. (۱۳۷۶ش-۱۹۹۷م). شهر شعر لاهوتی. ط ۱. تهران: علمی.
- علوی، بزرگ. (۱۳۸۶ش-۲۰۰۷م). تاریخ تحول ادبیات جدید ایران. تهران: نگاه.
- الکواکبی، عبدالرحمن. (۲۰۰۶م). ط ۳. طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد. بیروت: دار النفائس.
- لاهوئی، ابو القاسم. (۱۳۵۸ش-۱۹۷۹م). ط ۱. دیوان ابوالقاسم لاهوتی. تهران: امیر کبیر.
- لنگرودی، شمس. (۱۳۶۹ش-۱۹۹۰م). «نخستین شاعر نوپرداز ایران». گردون. السنة الأولى. العدد ۴. صص ۲۱-۱۶.
- محمدی، حسنعلی. (۱۳۷۲ش-۱۹۹۳م). از بهارتا شهریاری. تهران: ارغوان.
- مسلمانیان قبادی، رحیم. (۱۳۸۰ش-۲۰۰۱م). «اولین و آخرین پیغام». فصلنامه هستی. العدد ۸ و ۹. صص ۶۵-۵۹.
- مشیری، بهروز. (۱۳۵۷ش-۱۹۷۸م). کلیات لاهوتی. تهران: توکا.